

الجدل عند ابن طملوس - دراسة موضوعية

Ibn Tamlos' Dialectics is
an objective studyد. عبد المالك بن عباس¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

malekbenabbas@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/01/04 القبول 2022/02/24 النشر على الخط 2022/04/15

Received 04/01/2022 Accepted 24/02/2022 Published online 15/04/2022

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوع علم الجدل عند ابن طملوس ، وهو أحد مباحث علم المنطق، اعتنى به الفلاسفة كما اعتنى به علماء الكلام والأصوليون ، ابن طملوس (559هـ - 620هـ) هو أحد تلاميذ ابن رشد، وقد ألف كتابه الشهير " المدخل لصناعة المنطق " وتعود شهرة الكتاب إلى تلك المقدمة التي عرض فيها أسباب اختياره التأليف في علم المنطق وبين منافع ومصادر دراسته للمنطق، وقد أظهر فيه ابن طملوس تحديا كبيرا لفقهاء عصره الذين تسببوا في خمول العلوم العقلية لموقفهم المعارض لتعلم الفلسفة والمنطق. حيث تصدى ابن طملوس لهذا التيار المتشدد منتصرا للتيار الرشدي رغم التزامه الصمت تجاه هذه التلمذة... في هذه المقالة حاولنا أن نتناول جزء من كتابه المنطقي ويتعلق بموضوع الجدل إيماننا منا بوجود دراسة التراث الفلسفي الأندلسي الذي عانى من الإهمال والإنكار، خاصة وأن المكتبات العربية والأجنبية تزخر بمخطوطات أندلسية بحاجة إلى تحقيق ودراسة.

الكلمات المفتاحية: ابن طملوس، الفارابي، ابن رشد، الجدل، مقدمات الجدلية، القياس، المنطق.

Abstract :

This research deals with the Dialectic according to Ibn Tamlos which is one of Logic's topics that the philosophers were interested in as well as the Theology scholars. Ibn Tamlos who is one of Ibn Rushd's students, wrote his famous book titled « Introduction to the Art of Logic ». The reason of its fame is due to the introduction in which he explained why he chose the authorship in this field . He also presented the benefits of this science and the sources used in his study. Ibn Tamlos challenged the scholars of his era who were against the idea of learning Philosophy. Those scholars' beliefs led to the idle of the intellectual sciences. He confronted this extremist current victoriously the Al Rushdi current, despite his silence towards this disciple. The article will tackle a chapter from his book because of the necessity of studying the Andalusian philosophical heritage, which suffered from neglect and deny, especially that the Arab and foreign libraries abound with Andalusian manuscripts that need to be studied.

Keys word :Ibn Tamlos, Al-Farabi, Ibn Rushd, Controversy, Dialectic Introductions, Measurement, Logic.

مقدمة:

يعتبر مبحث علم الجدل من المباحث التي يواجهها الطالب عند تفحصه كتب المنطق، ونظرا لأهمية صناعة الجدل في علم المناظرة وفي البحث الفلسفي حيث لقي عناية من طرف الفلاسفة باعتباره أحد الصنائع الخمس التي يعالجها علم المنطق، كما اعتنى بها المتكلمون والأصوليون باعتباره من العلوم العقلية التي تدعم النقل، فهي ضرورية للمناظرة. وفي هذا البحث حاولنا أن نرفع اللثام عن ما كتبه ابن طملوس (ت 620هـ / 1223م) في الجدل من خلال كتابه الشهير " المدخل لصناعة المنطق" وهو كتاب ما زالت بعض أجزائه مخطوطا في انتظار الدراسة والتحقيق، ومن حسن الحظ أن بعض أجزاء هذا الكتاب قد تم تحقيقها من طرف المستشرق الإسباني أسين بلاصيو وأعاد تحقيقها الدكتور محمد العدلوني، منها كتاب المقولات" وكتاب العبارة" ، كما قام فؤاد بن أحمد بتحقيق كتاب الأمكنة المغلطة وكتاب الجدل".

وقد شاع أن التفكير الفلسفي قد انتهى بوفاة الفيلسوف ابن رشد (595هـ) حيث تراجعت العلوم العقلية أمام زحف الفكر الباطني المتمثل في التيار الشيعي والتيار الصوفي، لكن كتاب " المدخل لصناعة المنطق" يقدم لنا أهمية كبرى على أن العلوم العقلية بقيت مستمرة من طرف ابن طملوس أبرز تلامذة ابن رشد، ورغم غياب ذكر ابن رشد في كتاب " المدخل لصناعة المنطق" حيث ذكر ابن طملوس أنه استفاد من الكتب المنطقية للغزالي والفارابي وأرسطو دون ذكر ابن رشد الذي حضرت نصوصه في المنطق وغاب الغزالي، مما يدفعنا إلى أن نبحت عن أسباب صمت ابن طملوس عن ذكر أستاذه ابن رشد، وعن مدى استفادته من كتب الفارابي وابن رشد في صناعة الجدل .

مما يدفعنا إلى التساؤل ما الجديد الذي أضافه ابن طملوس لصناعة الجدل ؟ أم أن كتابه " المدخل لصناعة المنطق" ما هو إلا كتاب تقليدي مختصر في علم المنطق ؟ وهل التزم ابن طملوس بمباحث الجدل ومفرداته كما هي مقررة في كتب المنطق؟ وما أثر منطق الفارابي وابن رشد على ابن طملوس في علم الجدل؟

إن جهود ابن طملوس مهما قيل عنها ستبقى كشواهد على استمرار العلوم العقلية بالأندلس، وأن الفلسفة العقلية لم تنته برحيل ابن رشد بل بقيت مستمرة في تلاميذه، ولعل بعض المخطوطات التي تم تحقيقها وخرجت إلى النور تعطي لنا صورة مغايرة عن تاريخ الفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس.

1 - مصادر ابن طملوس في دراسته للمنطق:

وقد التزمنا المنهج الوصفي في هذه الدراسة مع المقارنة

شهد عصر ابن طملوس حملة مضادة من طرف الفقهاء للعلوم الأوائل في عصر دولة الموحدين، وقد اكتوى من لفحها الفيلسوف ابن رشد، وأمام هذا الحصار زهد الطلبة في دراسة المنطق ، وقد بين لنا ابن طملوس الغرض من تأليفه هذا الكتاب حيث يقول: " فقد لخصنا من هذه الصناعة باختصار ما هو توطئة ومدخل لمن أراد أن يتقصاها على التمام، ولعل ما لخصنا منها فيه كفاية بالإضافة إلى أبناء هذا العصر."¹

¹ - ابن طملوس ، أبو الحجاج يوسف ، كتاب الجدل، تحقيق فؤاد بن أحمد، منشورات ضفاف، بيروت ، ط أولى 2016م ، ص 107.

أما عن المصادر التي ساهمت في تكوين ابن طملوس المنطقي فيعود الفضل إلى تلك المقدمة التي ذكر فيها دراسته للمنطق حيث ذكر أنه اطلع على كتب الغزالي منها: "معيار العلم"، وكتاب "محك النظر"، وكتاب "القسطاس المستقيم"، و"مقدمة المستصفى" و"مقدمة المقاصد"، وقد استعمل الغزالي مصطلحات شرعية عوضاً عن مصطلحات منطقية فطغت المعاني الإسلامية تدريجياً على الكتب الباقية. حتى خيل للقارئ اختفاء الجانب الأرسطوي في القسطاس المستقيم. لكن هل استطاع هذا التحول في بنية الأبحاث أطراح الأرسطوية والاستغناء عنها؟ الصحيح هو العكس فقد بقيت البنية الأرسطوية هي الركيزة¹.

ثم اطلع على كتب الفارابي المنطقية منها كتابه "المختصر الكبير" ثم اطلع على كتب أرسطو، ولم يذكر أستاذه ابن رشد مما دفع بالمستشرق آسين بلاصيوس إلى القول: "وأنه إذا كان ابن طملوس يلتزم الصمت العميق تجاه ابن رشد، كما قيل قبل قليل، فإنه في المقابل، يسعد بالقول أنه تلميذ الغزالي، مدعي أن كتبه المنطقية كانت مدخلة إلى هذه الصناعة، ويغالي بتوجيه أكثر أشكال المدح حماسة إليه، لا فقط من الزاوية الأدبية، أعني من أجل خصائص التفنن والوضوح والمنهج التي تتجلى في الطريقة التي حررت بها أعماله، وإنما أيضاً من زاوية العقيدة السنية لكل أعمال الغزالي، حيث ينسب إعادة الاعتبار لها في إسبانيا إلى الإمام المهدي بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية"².

يوضح ابن طملوس عن مدى استفادته من كتب الفارابي مقارنة بكتب الغزالي حيث يقول: "غير أن الذي وجدته في كتاب أبي نصر أكمل مما وجدته في كتب الغزالي بكثير، فسررت بهذه الزيادة وفي أثناء هذه المطالعة تبين لي أن كتاب أبي نصر مقصر، وأن الصناعة كاملة إنما هي في كتاب أرسطاطاليس المكتوب في ذلك العلم، فلم أزل أبحث عن هذا الكتاب حتى وقع بيدي وطالعتة واستعنت في مطالعته بمن نهني على ما أشكل علي منه، حتى كمل بالمطالعة وحصل منه في فهمي ما قدر الله لي أن يحصل"³. ورغم كون ابن طملوس تلميذ لابن رشد "إلا أنه لزم الصمت عن هذه الناحية، وليس إلى الشك سبيل في أن دافعه إلى ذلك كان الرغبة في النجاة بنفسه مما كان من الممكن أن يثيره الفقهاء حوله من الشكوك، وكان طبيياً ناهياً، وقد خلف ابن رشد في تطبيب أبي يوسف يعقوب المنصور"⁴، تلك النكبة التي حلت بابن رشد دفعت تلاميذه إلى عدم الجهر بعلومهم الفلسفية، أو قد يكون موقف ابن طملوس نابعا من قناعته بالعقيدة الأشعرية التي يمثلها الغزالي في مصنفاته العقدية والتي تعتبر عقيدة أهل السنة والجماعة وهي العقيدة الرسمية للدولة الموحدية، وهذا بخلاف ابن رشد الذي هاجم المتكلمين عامة والأشاعرة خاصة في منهجهم العقدي في كتابه "الكشف عن مناهج الأدلة".

ورغم تلمذه على كتب الغزالي وإشاداته بمصنفاته المنطقية إلا أن ابن طملوس اعتمد كلية على كتب الفارابي المنطقية حيث ينقل عباراته، فقد كانت كتب الفارابي ذائعة الصيت بالأندلس يقول ابن طفيل: "وأما ما وصل إلينا من كتب أبي

¹ رفيق العجم، المنطق عند الغزالي في أبعاده الأرسطية وخصوصياته الإسلامية، دار المشرق، بيروت، ط أولى 1989م، ص 307.

² فؤاد بن أحمد، ابن طملوس الفيلسوف والطبيب، منشورات ضفاف، بيروت، ط أولى سنة 2017م، ص 134.

³ ابن طملوس، المدخل لصناعة المنطق، كتاب المقولات، تحقيق محمد العدلوني الإدريسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط أولى 2006م ص 36.

⁴ أنخل جانتال بالنيثا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة 2006م، ص 409.

نصر، فأكثرها في المنطق ، وما ورد منها في الفلسفة، فهي كثيرة الشكوك¹ كما نقل عن ابن رشد رغم عدم ذكر اسمه إلا أن نصوصه المنطقية حاضرة بقوة في "كتاب الجدل" وهذا بخلاف الغزالي أشاد به في المقدمة وتجاهله في بقية الكتاب، يقول أحد الباحثين: "وإذا كان الغزالي الذي حصل الحديث عنه بكثير من التقدير والإكبار في صدر كتابه في المنطق لا يوازيه حضوره الفكري الفعلي في بقية أجزاء هذا الكتاب، فإن ابن رشد بالمقابل قد غاب عن الصدر، لكنه حضر فعلا في مجموع الكتاب الذي يمكن اعتبار أجزاء كثيرة منه نقول لأقوال ابن رشد، لفظا ومعنى."²

2:تعريف الجدل:

لغة: جاء في لسان العرب: الجدل هو شدة القتال، يقال جدلت الحبل أجدلته جدلا إذا شددت قتله، وفتلته فتلا محكما، وقيل الأجدل الصقر وهي صفة غالبية أصله من الجدل الذي هو الشدة ، والجدل عنده أيضا بمعنى الصدع.³

اصطلاحا: جدل dialectic طريقة في المناقشة والاستدلال، وقد أخذ معاني متعددة في المدارس الفلسفية المختلفة.

عند سقراط: مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب.

عند أفلاطون: منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء الى أجناس وأنواع ، بحيث يصبح علم المبادئ الأولى والحقائق الأزلية.

عند أرسطو ومناطق المسلمين : قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات.⁴ فهو جزء من علم المنطق.

كما عرّفه الفارابي بقوله:"والجدل وهو مخاطبة بأقاويل مشهورة يلتبس بها الإنسان إذا كان سائلا لإبطال أي جزء من جزئي النقيض اتفق أن يتسلّمه بالسؤال عن محيى تضمّن حفظه، وإذا كان مجيبا التمس بها حفظ أي جزء من جزئي النقيض، اتفق أن عرضه لسائل تضمّن إبطاله."⁵

أما عند العلماء والأصوليين والفقهاء والمتكلمين فرغم درايتهم بكونه جزء من علم المنطق إلا أنهم أرادوا أن يوظفوه في العلوم الدينية. ولهذا عرفه طاش كبرى زاده بقوله " علم الجدل وهو علم باحث عن الطرق التي يقتدر به على إبرام أي وضع أريد، وعلى هدم أي وضع كان، وهذا من فروع النظر، ومبنى لعلم الخلاف وهذا مأخوذ من الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خص بالعلوم الدينية."⁶

¹ ابن طفيل، أبو بكر: حي بن يقظان، تقديم ألبيّر نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط خامسة 2001م، ص 21.

² - فؤاد بن أحمد، مقدمة ابن طملوس كتاب في المنطق، ص 34.

³ - ابن المنصور ، لسان العرب، دار المعارف، بيروت ، د ت . ج 11 ص 103.

⁴⁴ -المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1983م، ص 59.

⁵ - الفارابي أبو نصر، المنطق عند الفارابي، كتاب الجدل ، تحقيق د. رفيق العجم ، دار المشرق، بيروت ، ط 1986م ، ج 3 ص 14.

⁶ - طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ، تح، علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 س 1998، ص 377. "

ويعرفه الخوارزمي بقوله: "ومعنى الجدل هو تقرير الخصم على ما يدّعيه من حيث أقرّ، أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعاند مجادله لاشتهار مذهبه ورأيه فيه، لأنه يزرّي على مذهبه ورأيه فيه".¹

أما ابن حزم فيعرفه بقوله: "الجدل والجدال إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلاً، وقد يكون أحدهما محققاً والآخر مبطلاً إما في لفظه وإما في مراده أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا محققين في ألفاظهما ومعانيهما"² فالجدل عند ابن حزم لا يكون إلا في مسألة وقع فيها الخلاف فلا يكون الجدل في المسائل المتفق عليها. والجدل عند ابن حزم ليس بالضرورة أن توضع مقدماته على شكل القياس، فقد تجري المقدمات على عادة لسان العرب وأساليبهم في الكلام، كما نجد في النصوص القرآنية والسنة النبوية.

إن صناعة الجدل تقوم على مستويين لتكون لنا الصورة النهائية التي يسعى إليها المتكلم والفيلسوف في محاولة منهما التمسك بنصائرها وتوظيفها لنصرة أرائهما:

"مستوى نجد فيه ما يمكن أن نسميه "أدب الجدل"، وهو يتضمن جملة من الوصايا والتعليمات توجه للمتكلمين بقصد إلزامهم باحترامها في إدارة الكلام بينهما.

مستوى نجد فيه ما يمكن أن نسميه "منطق الجدل" وهو يتضمن جملة من الأصول والقوانين تكشف للمتكلمين بقصد إلزامهما باحترامها في كل من أفعال التكلم على الوضع (بالنسبة للسائل) وأفعال التكلم عن الوضع (بالنسبة للمجيب)."³

وإذا ما تمعنا في هذين المستويين فكأننا أمام بناء متكامل يهدف إلى الكشف عن البنية الخارجية للجدل، والتي عبر عنها بأدب الجدل، كما يكشف في نفس الوقت عن البنية الداخلية المتمثلة في المقدمات والأقيسة والتي عبر عنها بمنطق الجدل.

وإذا عدنا إلى ابن طملوس ومن خلال كتاب الجدل فإن أول عبارة يفتتح بها كتابه بقوله: "إن صناعة الجدل صناعة قياسية، وهي إحدى الصنائع الخمس القياسية التي تشتمل عليها صناعة المنطق، والصنائع الخمس القياسية ليس ينفصل بعضها عن بعض بصورة القياس وشكله بل إنما ينفصل بنحو المقدمات التي تشتمل عليها صناعة صناعة".⁴

فقد اعتبر ابن طملوس أن علم الجدل هو أحد الصنائع الخمس التي يتناولها علم المنطق وهو بهذا التحديد لا يخرج عن التقليد المنطقي الذي رسم خطوطه أرسطو وسار عليه منطقة العرب كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم.

تعريف القياس:

¹ - الخوارزمي، الحدود الفلسفية ضمن رسائل منطقية للفلاسفة العرب، تحقيق عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط أولى، سنة 2008م، ص 107.

² - ابن حزم أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ثانية، سنة 1983، ج 1 ص 45.

³ - حمو النقاري، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، دار الأمان، الرباط، ط 1 سنة 2005م، ص 247.

⁴ - ابن طملوس، أبو الحجاج يوسف، كتاب الجدل، تحقيق فؤاد بن أحمد، منشورات ضفاف، بيروت، ط أولى 2016م، ص 37.

إن تعريف القياس عند ابن طملوس لا يختلف عن التعاريف التي أوردتها المناطق العربية والتي لا تخرج عن تعريف أرسطو ، وبهذا الصدد يقول ابن طملوس: والقياس على الإطلاق هو قول توضع فيه أشياء أكثر من واحد إذا ألفت لزوم عنها بذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها من الاضطرار. فالقياس البرهاني هو الذي يكون من مقدمات صادقة أولية، والقياس الجدلي هو الذي يكون من مقدمات ذائعة محمودة، والقياس السوفسطائي هو الذي يكون من مقدمات يظن بها أنها صادقة، والقياس المشاغبى هو الذي يكون من مقدمات يظن بأنها مشهورة.¹

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن طملوس قرأ كتب المنطق بعد قراءته كتب الغزالي من "معيار العلم" و"محك النظر" كما قرأ كتب المنطقية للفارابي ولا نستبعد اطلاعه على كتب أستاذه ابن رشد كما قرأ منطق أرسطو من خلال قراءته من النسخ التي لخصها ابن رشد، وبناء على ذلك نجد أوجه التشابه بين عبارات ابن طملوس مع عبارات أرسطو في كتابه الجدل حيث تصادفنا تطابق عبارته مع عبارة أرسطو في تعريف القياس التي يقول فيها: إن القياس قول إذا وضعت فيه أشياء لزوم من تلك الأشياء الموضوعية شيء آخر غيرها من الاضطرار، فالبرهان هو القياس الذي يكون من مقدمات صادقة أولية، أو من مقدمات يكون مبدأ المعرفة بها قد حصل من مقدمات ما أولية صادقة. والقياس الجدلي هو الذي ينتج من مقدمات ذائعة... والقياس المماري هو الذي يكون من مقدمات ذائعة في الظاهر وليست ذائعة على الحقيقة.² وغرض أرسطو من تطرقه لتعريف القياس وأصنافه حتى يحصل لنا القياس الجدلي الذي يتميز عن غيره من الأقيسة في المقدمات وعلى خطى أرسطو سار مناطق العرب في مصنفاتهم المنطقية.

وبمنأى عن المقدمات البرهانية التي تشكل البرهان وهي عزيزة عن الجمهور وصعبة الحصول، فإن صناعة الجدل تقوم على مقدمات مشهورة ومسلمة تشكل القياس الجدلي، وهي في متناول الجمهور، وبهذا الصدد يقول الفارابي: صناعة الجدل هي الصناعة التي بها يحصل للإنسان القوة على أن يعمل من مقدمات مشهورة، قياساً في إبطال كل وضع موضوعه كلي يتسلمه بالسؤال عن محيب يتضمن حفظه، أي جزء من جزئي النقيض اتفق، وعلى حفظ كل وضع موضوعه كلي يعرضه لسائل يتضمن إبطاله، أي جزء من جزئي النقيض اتفق ذلك.³

فقياس الجدلي هو رتبة ضرورية لتجاوز الصعوبات التي تسبب قصوراً في التعامل مع البرهان فمواد القياس الجدلي كما يبينها الساوي في كتابه "البصائر النصيرية" بقوله: "فهي المشهورات والمسلمات، وللجدل فوائد منها إلزام معاند الحق رأياً يعانده إذا كان قاصراً عن رتبة البرهان، فيعدل به إلى المشهورات التي يعتقدها واجبة القبول ويبطل بها رأيه الفاسد عليه، ومنها أن من يراد تلقينه الاعتقاد الحق وكان مميّزاً عن العوام ولا يرضى بالتقليد والكلام الوعظي الخطابي، ولم يبلغ رتبة إدراك الحقائق من البرهان اليقين يتدرج إلى تقرير هذا الاعتقاد الحق له بالأقيسة الجدلية."⁴

¹ - ابن طملوس ، كتاب الجدل، ص 37.

² - أرسطو ، النص الكامل لمنطق أرسطو، كتاب الجدل ، تحقيق د. فريد جبر، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط أولى 1999م، ج 2 ص 635.

³ - الفارابي، كتاب الجدل ، ج 3 ص 13.

⁴ - زين الدين عمر الساوي، البصائر النصيرية في علم المنطق، ت رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط أولى سنة 1993، ص 228.

3- أهمية صناعة الجدل عند ابن طملوس:

يذهب ابن طملوس إلى أن صناعة الجدل صناعة عامة ليست تقتصر بالنظر في موجود دون موجود بل تنظر في جميع المقولات على اعتبار أن المقولات العشر توجد بها أقاويل مشهورة ومحمودة، ويعرض ابن طملوس مقارنة بين صناعة الجدل وصناعة الخطابة فهناك شبه بينهما فرق كون صناعة الخطابة قد تقنع في شخص من أشخاص الموجودات بينما صناعة الجدل موضوعها أبدا كلي، وصناعة الجدل وصناعة الخطابة تستعملان المخاطبة مع الغير، إلا أن صناعة الخطابة تحتاج إلى ثلاثة: متكلم ومناظر وحاكم، وأما صناعة الجدل فتحتاج إلى اثنين سائل ومجيب.

4 - غرض صناعة الجدل:

يتحدث ابن طملوس عن غرض صناعة الجدل هو أن تعمل من مقدمات مشهورة قياسا في إثبات رأي ما أو إبطاله، فإذا وضع ذلك الرأي وضعاً فالسائل أبدا الذي يسأل عنه يتسلمه من المجيب يريد إبطاله، والمجيب أبدا يتضمن حفظه ونصرته. وإبطال الوضع من السائل يكون عندما يتسلم من المجيب مقدمات يؤلفها عليه فينتج منها نقيض الوضع، وعلى للمجيب أن يتحفظ من السائل بأن لا يسلم له ما يلزم عنه نقيض الوضع وله عليه أن يأتي بمعاندة كل ما أتى به السائل مما يلزم عنه نقيض الوضع.

والتبكيك هو القياس الذي يؤلفه السائل من المقدمات التي يتسلمها من المجيب أو من التي يظن أنها يسلمها المجيب لكونها مشهورة، فيناقض به الوضع ويبطله، ويقرر ابن طملوس قاعدته الذهبية في التفريق بين التبكيك والعناد فيقول: "فالتبكيك هو من السائل قياس يبطل به الوضع الذي يريد المجيب حفظه ونصرته، والعناد هو من المجيب قياس يبطل به ما أتى به السائل من مناقضة الوضع الذي حاول إبطاله...."¹

5 - منافع علم الجدل:

منافع هذه الصناعة ثلاث وهي كما يشير إليها ابن طملوس: إحداها الرياضة، والثانية في مناظرة الجمهور، والثالثة في العلوم النظرية.

هل لهذا التقسيم علاقة بما قاله أرسطو؟ نقول: نعم هو تقسيم ثلاثي ذكره أرسطو في "كتابه الجدل" ومنفعته في ثلاثة أشياء: في الرياضة، وفي المناظرة، وفي علوم الفلسفة. كما نجدتها بنفس الترتيب عند الفارابي وابن رشد.

أ - منفعة علم الجدل في الرياضة: يرى ابن طملوس أن صناعة الجدل لها منفعة عظيمة حيث يقول: "فإننا بهذه الصناعة نتعلم كيف نثبت الشيء أو نبطله، وذلك أنها هي التي تعطينا القوانين وتكسبنا القدرة على الفحص والنظر لكون مقدماتها مشهورة ومستعملة في جميع الآراء والمذاهب. وإذا كنا إنما نقف على الحق في كثير من الآراء والمطالب بالمباحثة والنظر المستقصي ومعاندة بعض لبعض، وذلك أن بالمعاندة يمكن أن يتخلص عندنا الصادق من الكاذب ويتميز، وكانت صناعة الجدل هي التي تعلمنا كيف نفحص بما تعطينا من القوانين وتكسبنا من القوة على المناظرة."² وبناء على ذلك يقرر

¹ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 39.

² - ابن طملوس، المصدر نفسه، ص 40.

ابن طملوس أن صناعة الجدل متقدمة في الترتيب لأنها تفتح الأفاق في باب النظر عن الأمور البرهانية، فهي رياضة لأذهاننا حتى نكون على استعداد لأخذ العلوم ، ويضرب مثالا على ذلك بصورة حسية، فما يقوم به اللاعبون بالخيال وإظهار مهاراتهم القتالية بمحاكاة صور حربية من كر وفر هي في الحقيقة إعدادهم للحرب، فكذلك صناعة الجدل فهي رياضة نافعة في العلوم والفلسفة.

يقول ابن رشد: "أما منفعتها في الرياضة المعدة نحو العلوم فالأنه إذا كانت معنا قوانين معلومة وطرق معروفة محصورة نسلكها إلى إثبات الشيء أو إبطاله، كانت القدرة الحادثة لنا بهذه الصناعة في امتحان الآراء والمذاهب وتعريف الصادق منها من الكاذب أتم فعلا وأنجح غرضاً من القوة الحادثة لنا بالرياضة فقط، دون معرفة هذه القوانين. ولذلك إنما يحصل التمام في هذه الصناعة بهذين الشيئين، أعني المزاولة، ومعرفة القوانين."¹

ب - منفعة علم الجدل في مناظرة الجمهور: صناعة الجدل تقوم على مقدمات مشهورة وذائعة ومتناولة بين الجمهور، فمنفعتنا محققة، "فهي للضرورة الداعية لهم إلى الاجتماع على العدل والفضيلة ولاعتقادهم ما ينبغي أن يعتقدوه من الأمور النظرية النافعة لهم في الاجتماع المدني، وذلك أن الجمهور يعسر عليهم الوقوف على ما ينبغي أن يفعل أو يعتقد بالطرق البرهانية. ولما كانت صناعة الجدل مقدماتها مشهورة عندهم وذائعة فيهم، وكان إثبات ما نريد إثباته عندهم وإبطال ما نريد إبطاله بهذه الصناعة أسهل، وكانت هذه الصناعة في تمكين الآراء في النفوس أولى أن تستعمل من الصناعة الخطبية والصناعة الشعرية لكون ما يعتقد بهذه الصناعة هو أوثق وأعسر عنادا وأحرى أن يظن به أنه الحق والنافع مما يعتقد بصناعة الخطابة وبصناعة الشعر."²

يرى ابن طملوس أن صناعة الخطابة لا يمكنها أن تستقر أمام أدنى اعتراض أو مباحثة ناهيك عن ضحالة صناعة الشعر، فمقدماته أضعف من مقدمات الخطابة، وهذا بخلاف صناعة الجدل بمقدماتها المشهورة التي قد ترقى إلى مستوى اليقين بعد البحث والتفحص وبهذا الصدد يقول ابن طملوس: "وأما الذي يوقف عليه بصناعة الجدل عندما يستوفى فيها تمام النظر فيكاد أن يكون في مرتبة اليقين عند كثير من الخواص فضلا عن العوام."³

وهنا نجد تأثر ابن طملوس بأستاذه ابن رشد لدرجة نقل عنه بعض عباراته مما يدفعنا إلى القول أن المدخل لصناعة المنطق هو بمثابة تقريب لحد المنطق وتيسيره للقراء والباحثين .

ورغم تجنب ابن طملوس الإشارة إلى أستاذه ابن رشد لأسباب أمنية ، فإن عباراته في "كتاب الجدل" تكاد تكون صورة طبق الأصل لنصوص ابن رشد مما يدفعنا إلى القول أن ابن طملوس اعتمد على كتب أستاذه ابن رشد في شرحه لكتاب الجدل لأرسطو، وبذلك يكون ابن طملوس قد حقق رغبته المعرفية من منطق ابن رشد دون أن يتحمل معه تهمة الكفر والزندقة التي طالت أستاذه في عهد الموحدين.

¹ - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص 7-8.

² - ابن طملوس ، كتاب الجدل، ص 41.

³ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 41

إن منفعة الجدل التي أشار إليها ابن طملوس هي بعينها التي ذكرها ابن رشد حيث يقول: "وأما منفعتها في مناظرة الجمهور: فبالضرورة الداعية في اجتماعهم على العدل والفضيلة، واعتقاد كثير من الأمور النظرية النافعة لهم في الاجتماع المدني. ولما كان الأمر هكذا، وكانت الأمور النظرية لا يمكن أن يقع التصديق بها لهم إلا بالطرق المشهورة وهي الأقاويل المستعملة في هذه الصناعة، كان أفضل ما ثبتت به عندهم الأمور النظرية هي الأقاويل المشهورة. فإنها أعسر عنادا من الأقاويل الخطيئة والشعرية. وإن كان قد تستعمل الطرق الخطيئة والشعرية في هذه المواضع بدل الطرق الجدلية."¹ وهذا ما نبه عنه أرسطو فلا بد من مخاطبة الجمهور بمقدمات ذائعة ومشهورة عندهم يقول أرسطو: "فأما منفعته في المناظرة، فمن قبل أنا إذا أحصينا آراء الجمهور كانت مخاطبتنا إياهم من الآراء التي تخصهم، لا من الأشياء الغريبة، لنقلهم عما نراهم لا يصيبون القول فيه."²

ويوضح الفارابي هذه المسألة على لسان أرسطو الذي يرى بما أننا كنّا مدّيين بالطبع وكان يلزمنا لأجل ذلك أن نكون موافقين للجمهور محبين لهم مؤثرين لفعل ما ينفعهم، وعاد عليهم بصلاح أحوالهم، كما يلزمهم ذلك فينا.. وليس يمكن ذلك معهم بالبراهين اليقينية لبعد متناولها عنهم وغرابتها عندهم وصعوبتها عليهم، بل إنما يمكن بالمعارف المشتركة لنا ولهم. وذلك أن مخاطبتهم بالأقاويل المشهورة فيهم المعروفة عندهم المقبولة فيما بينهم، فيحدث من هذا الصنف من التعليم الفلسفة الرابعة التي تعرف بالفلسفة الخارجة والبرانية.³

وقد ذكر الفارابي أن أرسطو ذكر في كثير من كتبه أن له كتباً ألفها في الفلسفة الخارجة التي يلتبس تعليمها للجمهور بالأشياء المشهورة، ونصل بذلك إلى صناعة الجدل "وبهذا يشارك الفيلسوف الجمهور ويصير مصوناً، فلا يستثقل ولا يستنكر أمره إذ كان في عادة الجمهور استثقال ما غرب عنهم واستنكار ما بعد مأخذه عليهم."⁴ وهنا نلتبس محاولة الفيلسوف أن يتشارك مع الجمهور في معارفهم وما ذلك إلا لكون تلك المعارف معلومة عند الجمهور، مشهورة في أوساطهم، مقبولة فيما بينهم، وهي ستكون الرابط المعرفي بين الفيلسوف والجمهور، رغم قناعتنا أن الفيلسوف يفترض أن تكون معارفه برهانية، بناء على مقدماته اليقينية، لكن هذه المعرفة رغم شرفها فهي عزيزة وصعبة المنال، والجمهور ميال إلى المعرفة الحسية والمقدمات المشهورة. فأقوال الفقهاء والمتكلمين والخواص مبنية على مقدمات إما يقينية أو مشهورة فهم يعتمدون على القياس والاستقراء.

يعود بنا ابن طملوس إلى واقع ثقافة المجتمع الإسلامي الذي يلتبس من العلوم أن تكون نافعة للمجتمع لا أن تغرق في التجرد، فمن خلال حديثه عن الجدل نبه عن الأضرار التي قد تسببها صناعة الجدل للفلسفة والجمهور إذا حادت عن طريقها الصحيح، وأصبحت مجرد عراك لا يصل إلى نتيجة وبهذا الصدد يقول: "بل إنما ينبغي أن يكون الفحص والنظر في الأشياء النافعة في الصنائع النظرية والعملية وفي الأشياء التي تكون بها سعادة الجمهور، وبالجملية في الأشياء التي توصل إلى

¹ - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 8.

² - أرسطو، النص الكامل لمنطق أرسطو، كتاب الجدل، ج 2 ص 638.

³ - الفارابي، كتاب الجدل، ج 3 ص 36-37.

⁴ - الفارابي، المصدر نفسه، ج 3 ص 37.

السعادة، فمثال الضار للجمهور أن يجادل هل ينبغي أن نعبد الله أم لا، وهل للإنسان سعادة بعد الموت أم لا. ومثال الضار في الصنائع النظرية هل المحسوسات لها حقيقة أم لا، ومثال الضارة في علم المنطق أن يكون البحث هل الموجبة والسالبة تقتسم الصدق والكذب في جميع الأشياء أم لا، فهذه الأشياء الظاهرة المجتمع عليها فينبغي ألا تثير عليها شكاً وأن لا نجعلها مطلوبا أصلاً، إذا كانت الشكوك فيها عظيمة المضرة بالإنسان.¹ لا يمكن استعمال المنهج الشكي في البديهيّات ولا في التي مجمع عليها وتحقق صدقها، ولا التي تنقلها حواسنا بمثابة العلم الضروري بخلاف السوفسطائية.

ومن هذه النقطة لا ينبغي التشكيك فيما جاءت به الشريعة السمحاء من حكم وأحكام ومن الترغيب والترهيب لتحقيق بها سعادتهم، وبهذا الصدد يقول ابن طملوس: "وأيضاً فإن الآراء التي تثبت عندهم من قبل الشرائع التي بها سعادتهم بهذه الصناعة تنصر وترد أقوال مخالفيها ومنكريها، وذلك لكونها عندها مقدمات مشهورة في كل جنس من أجناس الأمور صار العارف بهذه الصناعة يقدر أن يتكلم في كل شيء، فهو يقدر على التكلم في الأشياء العلمية وفي الأشياء العملية بما يثبت أو يبطل أي رأي كان أو أي مذهب. فهي لهذا ينصر بها جميع الآراء وجميع المذاهب، فينتفع بها لهذا السبب الجمهور."²

لخص لنا ابن حزم هذا المعنى في عبارات وجيزة حيث يقول: "واعلم أن ما ذكرنا من الوقوف على الحقائق لا يكون إلا بشدة البحث، وشدة البحث لا تكون إلا بكثرة المطالعة لجميع الآراء والأقوال والنظر في طبائع الأشياء وسماع حجة كل محتج والنظر فيها والتفتيش، والإشراف على الديانات والنحل والمذاهب والاختيارات واختلاف الناس وقراءة كتبهم، فمن ذم من الجهال ما ذكرنا وخالف ربه تعالى، وقد أعلمنا عز وجل في كتابه المنزل أقوال المختلفين من أهل الجحد القائلين بأن العالم لم يزل، ومن أهل الثنوية، ومن أهل التثليث والملحدون في صفة كل ذلك ليرينا تناقضهم وفساد أقوالهم."³ فلا بد أن نكون منصفين حتى مع مخالفينا وأن الحجة والدليل هي الفصل بين الرأي الصحيح والرأي الخاطئ.

ج - وأما منفعتها في العلوم النظرية فذلك يكون لها من وجوه كثيرة:

الوجه الأول: وهي ما نعر عنها بالتدرج في المقدمات وبهذا الصدد يقول ابن طملوس أننا كثيراً " ما نرتقى إلى الأمور الصعبة من الأمور التي هي أسهل، واستعمال المقدمات المشهورة عندنا أسهل من استعمال المقدمات اليقينية. فإذا أردنا أن نثبت شيئاً أو نبطله استعملنا في إثباته أو في إبطاله المقدمات المشهورة"⁴

ويظهر ذلك جلياً عند المناظرة والبحث عن المقدمات المتقابلة في القياسين المتقابلين، إذ نقوم بتخليص الجزء الصادق من القياس من المقدمات الكاذبة، وذلك على اعتبار أن المقدمات المشهورة التي يقوم عليها القياس الجدلي هي مختلطة من صدق وكذب، فإذا تعقبناها بالنظر وتحري صدقها من كذبها وميزناها عن غيرها من المقدمات الكاذبة بالسبارات البرهانية، طرحنا المقدمات الكاذبة ونحن على يقين من كذبها، وتحققنا من المقدمات الصحيحة ونحن على ثقة من صدقها، أي عن

¹ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 55.

² - ابن طملوس، المصدر نفسه، ص 41.

³ - ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، نشر إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1959م، ص 198.

⁴ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 41.

طريق السبر والتقسيم، وهذا المنهج مارسه أرسطو " يقدم في كثير من مطالبه في العلوم الشكوك الجدلية ويبطل بها الشيء تارة ويثبتها أخرى، ثم يحل الشك الذي يعترضه بالأقاويل البرهانية" ومعنى ذلك أن أرسطو يوظف الشك المنهجي للوصول إلى المعرفة الحقة، وبهذا الصدد يقول ابن رشد موضحا منهج الشك عند أرسطو: "

ولذلك قل ما نجد أرسطو يبرهن شيئا في هذه العلوم الثلاثة إلا قدم قبل البرهان على ذلك تشكيكا جدليا . ويتبين أن هذه المنفعة في العلوم غير منفعة الرياضة. فان هذه بنفسها وتلك بوساطة القوة الحاصلة عن الرياضة.¹ وهي الخطوات التي مارسها سقراط في محاوراته التهامية مع خصومه السوفسطائيين، حيث كان منهجه يقوم على الشك القائم على التهام والتوليد فكان ينتقل بخصمه من الشك في مقدماته ليصل إلى تأسيس المعرفة اليقينية وذلك بتوليد المعرفة من خلال مجادلته لخصومه ببث الحيرة في مقدماتهم لينتقل بهم إلى تأسيس اليقين ، أما أرسطو فيبدو من خلال ما ذكره ابن طملوس أنه استعمل الشك المنهجي في المقدمات المشهورة في القياس الجدلي وهي مقدمات تتراوح بين الصدق والكذب فيقوم بمحصها حتى تتميز عن بعضها ثم يختار منها المقدمات الصادقة لبناء قياس برهاني دون اللجوء إلى التهام وبث الحيرة في نفس من يحاوره كما هو عند سقراط ، ومثلما نجد عند الغزالي وديكارت في شكهما المنهجي ، وكثيرا ما عبر الغزالي عن هذا المنهج الشكي كطريق إلى المعرفة اليقينية وبهذا الصدد يقول: " الشكوك هي الموصلة إلى الحقائق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال"²

ويرى ابن طملوس أن هذه المنفعة تختلف عن منفعة الرياضة التي تراد لأجل القوة الحاصلة عنها أي القدرة العقلية والجدلية بينما منفعتها في هذا المقام هو من أجل الممارسة الفلسفية وفي الحقيقة لا يمكننا الفصل بين الممارسات الذهنية والممارسات الفلسفية لأن كلاهما من ممارسات العقل ووظائفه، وإنما الاختلاف بينهما في طبيعة الموضوع.

وإذا انتقلنا إلى الفارابي في منافع الخمسة نجد فصل فيها حيث يقول ومنها: أن يوطى للعلوم اليقينية وتعد جميع موضوعاتها ويعدها لها، فانه يعدّها جميع المقدمات المشهورة، وهي التي في جملتها توجد المقدمات الصادقة الكلية الأولى، وهي مبادئ العلوم اليقينية، وتعدّها أيضا جميع المطلوبات، وهي القضايا التي هي خارجة عن المشهورات، وهي التي لإثباتها وإبطالها تعمل القياسات الجدلية...³

الوجه الثاني: وتتمثل المنفعة في كون " جميع الصنائع النظرية تشتمل على ثلاثة أشياء: مقدمات ومطالب وأقيسة، وكان حصر هذه الأشياء وإحصاؤها من حيث هي مشهورة أسهل، فإذا حصلت عندنا هذه الأمور بالفعل اختبرناها بعد ذلك بالقوانين البرهانية فوقنا حينئذ على الحق منها، فالجدل بهذه الجهة أيضا نافع في الفلسفة، وذلك من حيث يعطي الفلسفة الأشياء التي ينظر فيها بالأقاويل المشهورة."⁴

¹ - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 11-12.

³ - الفارابي، كتاب الجدل، ج3 ص31.

⁴ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 42.

وما قاله ابن طملوس في هذا الوجه لا يختلف عما ذكره ابن رشد، لدرجة تشابه عبارتهما يقول ابن رشد: والوجه الثاني: أنه لما كانت الصنائع النظرية تشتمل على ثلاثة أشياء: مقدمات، ومطالب، وأقيسة، وكان إحصاء هذه الأشياء أولاً وحصرها من حيث هي مشهورة أسهل، فإذا حصلت عتيدة بالفعل، سهل تمييز ما وضع منها على أنه حق: هل هو على النحو الذي وضع، أم ليس هو، وذلك بالقوانين البرهانية، فهو خادماً أيضاً للبرهان على هذا الوجه.¹

يقرر ابن طملوس منفعة الجدل في الفلسفة حيث يساهم في إثراء المباحث الفلسفية بالأقوال المشهورة، لأن البحث ابتداءً عن مقدمات برهانية متعذر في الغالب فالأولى توظيف مقدمات مشهورة لسهولة الحصول عليها ثم نقوم باختبارها بالقوانين البرهانية فما صح منها تحول إلى مقدمات برهانية وبالتالي أنتج معرفة يقينية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على حرص ابن طملوس على أهمية المقدمات المشهورة ودورها في تفعيل القياس الجدلي في محاولة الحصول على مقدمات برهانية التي في الأخير تقدم لنا قياساً برهانياً ومعرفة يقينية.

الوجه الثالث: يرى ابن طملوس أننا إنما ننتفع بالمقدمات المشهورة في مبادئ الصنائع، وذلك على وجوه :
أحدها أن تكون تلك المبادئ لا تتبين في تلك الصناعة إلا بالاستقراء، فيستعمل في تبنيها الاستقراء الذي تستعمله هذه الصناعة.

والثاني: انه ربما كانت تلك المبادئ مما يعسر تصورها على الشارع في التعلم والتصديق بها من أول الأمر، فيستعمل في تبينها المقدمات المشهورة إلى أن يقوى ذهنه ويتدرب فيقع له التصديق بها واليقين وذلك بعد مدة²
وبناء على ذلك أكد ابن طملوس على أهمية الاستقراء ودوره في الجدل، حيث يعرفه بقوله: "وأما الاستقراء فهو أن ينتقل الحكم من جزئيات ما إلى الكلي الذي يعم تلك الجزئيات، وذلك أن انتقال الحكم إما أن يكون من كلي إلى جزئي، وإما من جزئي إلى كلي، وإما من جزئي إلى جزئي شبيه، فالأول هو القياس، والثاني هو الاستقراء والثالث المثال." ويرى ابن طملوس أن الصناعة البرهانية تستعمل القياس فقط، وإذا استعملت الاستقراء والمثال فهي على جهة الاستظهار أو الإرشاد والتنبيه إلى جودة تصور تام أي زيادة في الوضوح، أما "صناعة الجدل تستعمل القياس والاستقراء معا. إلا أن القياس فيها هو أكثر إقناعاً عند العلماء من الاستقراء، والخطابة تستعمل الضمير والمثال، والضمير أوثق من المثال، والاستقراء في الجدل أظهر إقناعاً عند العوام لاستناده إلى المحسوسات. لكن القياس أثبت حجة كما قلنا... واستعمال القياس مع المرتاضين أولى لأنه أعسر عناداً، ومن لم يرتض فاستعمال القياس معه أنجح."³ وهذا هو الفرق الجوهرى بين القياس البرهانى وبين القياس الجدلي .

وهذا الوجه الذي ذكره ابن طملوس يكاد يكون صورة طبق الأصل لما ذكره ابن رشد في شرحه لكتاب أرسطو في الجدل مما يترجح لدينا أن ابن طملوس كان جهده في كتاب الجدل هو عبارة عن تلخيص لما شرحه أستاذه وتهذيبه حتى لا يأخذ

¹ - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 12.

² - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 43.

³ - ابن طملوس المصدر نفسه، ص 56.

حجمه الأصلي خاصة بعد زهد الناس في تعلم المنطق .أو أنها رغبة منه في التأليف في المنطق على طريقة الفلاسفة مع تجنب كل ما يثير الاتهامات من طرف السلطة المركزية التي تمثلها دولة الموحدين ، خاصة بعد نكبة أستاذه ابن رشد، كما يتبين تصرف ابن طلموس في تلخيص أستاذه في "كتاب الجدل" إذا استغنى عن الوجه الثالث الذي يقول فيه ابن رشد: والثالث: أن الصنف من المقدمات التي تعرف بالمصادرات، وهي التي شأنها أن نتيين في صناعة أخرى غير الصناعة التي توضع فيها، ورأي المتعلم فيها خلاف ما وضع منها في تلك الصناعة، قد يقنع فيها بالأمور المشهورة ليقبلها المتعلم، حتى إذا شرع في الصناعة التي تبرهن فيها عرفها معرفة يقينية.¹ وهذا شأن كثير من مقدمات العلوم .

الوجه الرابع: أما المنفعة الرابعة من منافع الجدل فهي كما يراها ابن طلموس " وهو أن السوفسطائيين ربما غلطوا في مبادئ العلوم التي من شأنها أنها يقينية أول فلم يكن عندنا، من حيث مبادئ، شيء نبينها به من ذلك العلم، مثل من جحد وجود الحركة في العلم الطبيعي، فترد عليه قوله ونبطله بأقاول جدلية."² ومعنى ذلك إن ابن طلموس يجيز استعمال مقدمات جدلية إذا كان الجدل في مواجهة الآراء السوفسطائية الهدامة لمبادئ العلم، وكان المجادل يفتقر إلى مقدمات يقينية ومبادئ ضرورية للدفاع عن ذلك العلم. فقد يحس الباحث بعدم قدرته عن الدفاع عن مبادئ العلم رغم إيمانه بصحة ما قرره ذلك العلم، ففي هذه الحالة يلزم مناصرة تيقنه في العلم وإبطال الطعون المسدودة إليه ولو بأقاول جدلية. يذكرها ابن رشد في تلخيصه "كتاب الجدل" لأرسطو بقوله: والرابع: أن بها تتلقى مغالطة السوفسطائي في مبادئ العلوم، كما فعل أرسطو في المقالة الأولى من السماع مع الذين جحدوا الكثرة ووجود الحركة."³

وهذه المنفعة ذكرها الفارابي كمنفعة خامسة من منافع الجدل فيقول: ومنها أنه ليس يمكن أحد من أهل الصنائع العلمية أن يدافع بالقوة التي يستفيد منها من صناعته الأقاول السوفسطائية التي تبكت ويعاندها في صناعته، ولا أن يحلّ التشكيكات السوفسطائية التي يقصد بها تحيير صاحب تلك الصناعة وقطعه وتزييف صناعته وتهوين شأنها، بل إنما يقدر على تلقي الأقاول السوفسطائية صاحب الجدل فقط. فإذا صناعة الجدل بها أن يكون أيضا صيانة الفلسفة عن السوفسطائيين ومدافعتهم عنها.⁴

الوجه الخامس: وهو كما يراه ابن طلموس يتعلق بمنفعة الجدل في الرد على من أنكر البديهييات وما تقرر بأوائل العقل والحس وبهذا الصدد يقول ابن طلموس: "وهو أن من ينكر الأمور المعلومة بالطبع المعروفة بنفسها لا سبيل إلى مكالمته ومخاطبته والرد عليه إلا بصناعة الجدل، وهذا النحو من النظر استعمله أرسطوطاليس في ما بعد الطبيعة في تصحيح مبادئ العلوم النظرية."⁵ وهنا يظهر تأثر ابن طلموس بأستاذه ابن رشد حيث نجد عباراته مطابقة لعبارات ابن رشد الذي يقول في تلخيصه: والخامس: أنه لما كانت البراهين صنفين: صنف يبرهن فيه المجهول بالطبع، وصنف يبرهن فيه البين بنفسه عند

¹ - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 13-14.

² - ابن طلموس، كتاب الجدل، ص 44.

³ ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 14.

⁴ - الفارابي، كتاب الجدل، ج3 ص 37.

⁵ - ابن طلموس، كتاب الجدل، ص 44.

من ينكره، وهذا إنما يتبين بالمقدمات المشهورة في الغاية، وهي التي عرض لها - مع أنها كانت مشهورة - أنها صادقة، كانت نافعة في هذا المعنى. وهذا النحو من النظر هو جل النظر المستعمل في ما بعد الطبيعة في تصحيح مبادئ العلوم الجزئية.¹

6 - المقدمة الجدلية :

أ - تعريف المقدمة الجدلية: يعرفها ابن طملوس بقوله: هي قول مشهور يتسلم بالسؤال ليحل جزء قياس في إبطال وضع ما أو إثباته.²

ب - أصناف المقدمات الجدلية المشهورة

يحذو ابن طملوس في تعداد أصناف المقدمات الجدلية حذو أستاذه ابن رشد، بل يكاد ينقل نصه حرفياً، مما يؤكد تبعيته لأستاذه في معظم مباحث الجدل ولا تنفع بعض إشارات التوضيحية التي قد تخالف سياق الموضوع مقارنة مع النص الرشدي، فهذه لا تشفع له بأن ينفرد عن أستاذه، صحيح أن ابن طملوس حاول أن يظهر شخصية مؤلفه من تضييف حدة التحامل على المتكلمين مما هو معروف عند ابن رشد، وما نراه ذلك إلا كون ابن طملوس يميل إلى مدرسة الغزالي وبالتالي تأهيل منهج المتكلمين بأدوات الجدل والبرهان ولعل تأثير المحيط الاجتماعي والسياسي الذي كانت تمارسه دولة الموحدين دفع بهذا الأخير أن لا يتحدث عن نقله المباشر من أستاذه ابن رشد بعد النكبة التي حلت بأستاذه ومؤلفاته، والأمور المشهورة كما يقرها ابن طملوس هي: "فأولها المشهورات عند الجميع، مثل أن الله موجود. أو المشهورات عند أكثرهم من غير أن يخالفهم الباقون. أو المشهور عند العلماء والفلاسفة من غير أن يخالفهم الجمهور، مثل ما يراه الفلاسفة من أن السعادة تكون بالعلم. أو المشهورات عند أكثر العلماء من غير أن يخالفهم الباقون، مثل المشهور عند التعاليمين مما هو مشهور في الهندسة وفي علم النجوم، أو المشهور عند ذوي النباهة والصيت من أهل العلم من غير أن يكون رأياً مبتدعاً، أعني مخالفاً لما يراه الجمهور. والمقدمات التجريبية التي تصحح بالتجربة في الصنائع النظرية والعملية وهي أيضاً مشهورة.

الشبيه بالمشهور مشهور: الشبيه ضربان: ضرب يكون الشبه بالمناسبة، وضرب يكون في عرض من الأعراض، فإذا حكم على أحد الشبيهين بحكم ما، وكان مشهوراً، يكون وجود ذلك الحكم في الشبيه الآخر مشهوراً.

نقيض ضد المشهور مشهور: فإنه متى حكم على أحد الضدين بحكم ما، وصار مشهوراً، فإن نقيض ذلك الحكم يكون مشهوراً على الضد الآخر فإن العدو إذا كانت الإساءة إليه مشهوراً، فإن نقيض ضد هذا الحكم، وهو أن لا يحسن للعدو، مشهور أيضاً.

ضد المشهور يكون أيضاً مشهوراً فإن عداوة الشرار إن كانت واجبة ومشهورة فمصاحبة الخيار واجبة أيضاً مشهورة. وهذا الموضع في الاستعمال والشهرة أضعف من نقيض الضد. وأشد هذه المواضع كلها وأشرفها هي المشهورات عند

¹ - ابن رشد، كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 15.

² - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 52.

الجميع، ثم التي عند الأكثر.¹ وما قرره ابن طملوس عن المقدمات الجدلية نجد صورته عند ابن رشد مما لا يترك مجالاً للشك أن ابن طملوس قد استفاد من أستاذه ونقل عنه دون ذكر اسمه بخلاف ما روج أن هناك قطيعة بين ابن طملوس وأستاذه ابن رشد.

قال ابن رشد في تلخيص كتاب الجدل: وأشرف هذه الأصناف هي المشهورات عند الجميع، ثم المشهورات عند الأكثر، وما عدى ذلك فإنما عد في المشهورات لأن الجميع أو الأكثر يرى فيها أنها ينبغي أن تقبل، وذلك أن الجميع والأكثر يرى أن أقاويل العلماء ينبغي أن تقبل.²

7 - أصناف المطالب الجدلية:

أ - تعريفه : المطلوب الجدلي فهو ما لم يكن معلوما صدقه بنفسه بحسب المشهور، بل يلحقه شك في المشهور.³
المطلوب الجدلي فهو ما لم يكن يتيّنا بنفسه في المشهور، بل يكون مما يحتاج إلى تبين.⁴

ب - الشهادة ودورها في المطالب الجدلية:

يرى ابن طملوس أن المعتمد في الأمور المشهورة إنما هو على الشهادة، لأن الشهادة هي سبب الشهرة، ومن الشهادة يقع الظن الغالب أو من الأمور التي تكون عن الشهادة وهي القياسات التي تأتلف عن المقدمات التي حصلت عن الشهادة. فالشك والحيرة في المطلوب يوقعها إما عدم الشهادة، بأن يكون لم يبحث عنه ولا شهد به أحد، وإما تضاد الشهادة، وإما تضاد الأقيسة، وإما تضاد الشهادة والقياس، وإما يضاد واحد من هذه بأكثر من واحد، وربما كان سبب الحيرة عسر وجود القياس على الشيء المطلوب، والأمور تتضاد فيها الشهادة، قد يضاد الفلاسفة فيها بعضهم بعضاً، وقد يضاد الجمهور بعضهم بعضاً، وقد يضاد الجمهور الفلاسفة، فإن الفلاسفة يرون أن سوء العيش والخمول مع الفضيلة أثر من جودة العيش والنباهة مع الرذيلة، والجمهور لا يرون ذلك.⁵

وهنا كذلك نجد أن ابن طملوس يحذو حذو أستاذه ابن رشد في تلخيص كتاب الجدل لأرسطو، حيث تتطابق العبارة وتتشابه الأمثلة، ولعل ما يذكره ابن طملوس هو أكثر اختصاراً مما ذكره ابن رشد مما يتبين لنا أن جهود ابن طملوس في كتابه المدخل لصناعة المنطق هو مشروع يهدف إلى تيسير المنطق ليكون أكثر تداولاً بين طلبة العلم خاصة وأنه رأى أن هناك هجوماً عليه من طرف الفقهاء، لكنه لم يقتد بطريقة الغزالي في استبدال مصطلحات فلسفية بمصطلحات شرعية رغم إشاداته به، ولا اقتدى بطريقة أستاذه ابن رشد في التأليف مصنفات كبيرة الحجم، بل اختار أن يكون مصنفه المنطقي بحجم متوسط كمصنفات الغزالي وبلغه أهل المنطق كمصنفات الفارابي وابن رشد.

¹ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 53

² - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ت محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص 35.

³ - ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ص 36.

⁴ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 54.

⁵ - ابن طملوس، المصدر نفسه، ص 54

8 - توجيهات ابن طملوس ونصائحه للمشتغلين بالجدل:

"وليس ينبغي أن يجادل في كل شيء، بل في الأشياء التي فيها منفعة، إما في العلم النظري أو في العلم العملي أو في صناعة المنطق، ولا يجادل في شيء مما يضر في إحدى هذه الصنائع. ولا أن يجادل من اتفق من الناس، بل إنما يجادل من يؤثر الحق والعدل في جميع الأمور، ونختار أبدا ما هو الأفضل، فإن معطاة الكلام مع هؤلاء أبدا معين جدا في الوقوف على الصواب. وأما من يطلب بهذه الصناعة الغلبة والرئاسة، وأن يظن به الكمال وبمن سواه النقص، فانه ينبغي أن يتحامي عنه وتجتنب مناظرته، فإن التكلم معه يؤدي إلى استعمال أقاويل خسيصة. وكذلك مناظرة من هو دون في هذه الصناعة، يلجأ إلى أمثال هذه الأقاويل. قال الحكيم " وإذا اضطررنا إلى مخاطبة السوفسطائيين فينبغي أن نقصد إلى غلبتهم بأي أقاويل اتفقت، وأن نأخذ في مخاطبتهم بالأقاويل الكلية جدا وبالأسم المشترك، فغلبتهم بأمثال هذه الأقاويل أولى من إظهار العجز عنهم."¹

لقد ساهم ابن طملوس بكتابه " المخل لصناعة المنطق " في كسر الخوف الذي ساد في زمنه من دراسة المنطق والفلسفة خاصة بعد النكبة التي تعرض لها ابن رشد ، وقد كانت صولة الفقهاء تحاصر كل من سولت له نفسه بدراسة الفلسفة حيث توجه إليه تحمة الزندقة والمروق عن الدين، كما تكللت مجهوداته في استمرار الدرس الفلسفي بعد ابن رشد مما يدل على تواصل النزعة العقلية في ظل دولة الموحدين، وإن كنا نرجح غلبة كفة المتكلمين التي شهدت انتشار المذهب الأشعري بالأندلس وشمال إفريقيا .

خاتمة:

ابن طملوس شخصية فكرية لها دور تفعيل البحث الفلسفي والمنطقي والطبي في عصر الموحدين، سحب ابن رشد الفيلسوف و تتلمذ عليه ، مما يتضح أنه قد استفاد من علم أستاذه في الطب والفلسفة والمنطق . لكن هذه الشخصية ظلت مهمشة رغم شهرتها لكن الأنظار حاليا بدأت تتجه إليها خاصة بعد نشر بعض إنتاجها العلمي . بينت لنا هذه الدراسة مدى أهمية علم الجدل عند مفكري الإسلام ، فقد احتل علم الجدل مكانة مرموقة في الدراسات الفلسفية والكلامية والأصولية، كما أنه يكشف لنا عن فترة حرجة بعد نكبة ابن رشد في عصر دولة الموحدين. لقد ظهر لنا من خلال هذا البحث حول الجدل عند ابن طملوس ، أن كتاب المدخل إلى صناعة المنطق هو كتاب خاص بعلم المنطق أراد صاحبه أن يجعله كتابا متوسطا يسهل تناوله على طلبة العلم خاصة وأنه قد احتوى على جميع مباحث المنطق..

رغم إشادة ابن طملوس بكتب الغزالي في مقدمة كتابه وسكوته المطلق عن أستاذه ابن رشد، إلا أن حضور ابن رشد في صدر الكتاب وغياب الغزالي هو ما لا حظه كل من اطلع على كتاب " المدخل لصناعة المنطق " مما يفند تبعية ابن طملوس للغزالي ويرجح تبعيته لابن رشد.

¹ - ابن طملوس، كتاب الجدل، ص 107-108.

كشفت لنا هذه الدراسة أن ابن طملوس التزم بطرح مادة علم الجدل كما هي معروفة عند المنطقة، كما تظهر من خلال طرحه أنه قد استعان بكتاب الجدل للفارابي وكذلك بتلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل لابن رشد. فأهل الأندلس لهم عناية كبيرة بكتب الفارابي المنطقية فقد اعتنى بها ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وغيرهم.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أرسطو، النص الكامل لمنطق أرسطو، كتاب الجدل، تحقيق د. فريد جبر، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط أولى 1999م.
- 2- آنخل جانتال بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة 2006م.
- 3- طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، تحقيق، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 س 1998.
- 4- ابن طملوس أبو الحجاج يوسف، المدخل لصناعة المنطق، كتاب المقولات، تحقيق محمد العدلوني الإدريسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط أولى 2006م.
- 5- ابن طملوس، أبو الحجاج يوسف، كتاب الجدل، تحقيق فؤاد بن أحمد، منشورات ضفاف، بيروت، ط أولى 2016م.
- 6- الفارابي، أبو نصر، المنطق عند الفارابي، كتاب الجدل، تحقيق د. رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، ط 1986م.
- 7- فؤاد بن أحمد، ابن طملوس الفيلسوف والطبيب، منشورات ضفاف، بيروت، ط أولى سنة 2017م.
- 8- ابن طفيل، أبو بكر: حي بن يقظان، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط خامسة 2001م، ص 21.
- 9- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1983م.
- 10- ابن المنظور جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف، بيروت، دت، ج 11
- 11- ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، نشر إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1959م.
- 12- ابن حزم أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ثانية، سنة 1983.
- 13- حمو النقاري، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، دار الأمان، الرباط، ط 1 سنة 2005م.
- 14- الخوارزمي، الحدود الفلسفية ضمن رسائل منطقية للفلاسفة العرب، تحقيق عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط أولى، سنة 2008م.
- 15- ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل، ت محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
- 16- رفيق العجم، المنطق عند الغزالي في أبعاده الأرسطية وخصوصياته الإسلامية، دار المشرق، بيروت، ط أولى 1989م،
- زين الدين عمر الساوي، البصائر النصيرية في علم المنطق، ت رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط أولى سنة 1993.